ضيف العرّافات

حكاية من التراث الآيسلندي



نقلها إلى العربية:
مؤمن الوزان

ضيف العرّافات

حكاية من التراث الآيسلندي

نقلها إلى العربية

مؤمن الوزان



مقدمة

ضيف العرّافات حكاية رجلٍ عمّر في الحياة ، وبلغ بلاط الملك النرويجي أولاف تريغفسن حاملا في جعبته أخبار الماضي فشدّ إليه الأسماع ولفت الأنظار وجذب الأذهان . يسعني الإيجاز في بيان أهمية هذه الحكاية في خمسة عناصر ، أربعة تخص الحكاية وواحد يخصّ ناقلها إلى العربية .

أولا تنتمي الحكاية إلى الأدب الآيسلنديّ الذي حفظ الإرث المعرفي الإسكندنافي بكل ما فيه من أساطير وأفكار وأخبار وأشعار وقصص ، إذ صارت جزيرة آيسلندا بعد بدء استيطانها في أواخر القرن التاسع للميلاد مستودعا للتاريخ الإسكندنافي والجرماني . وتكشّف بمرور السنين أثر استيطانها إذ بقي المستوطنون في معزل عن باقي أوروبا مما سمح لهم في الحفاظ على إرثهم المعرفي واللغوي ، والحصانة من أي تأثير لا سيما الكنسيّ ، وشكّل اعتناق آيسلندا النصرانية في المجلس التشريعي سنة 1000م وتبنّي الأبجدية اللاتينية فاتحة أسهمت في تدوين بل تخليد أدب الأسلاف النثري والشعري ، وإبداع آداب أخرى هي نتاج العيش في الوطن الجديد . من بين إسهامات الآيسلنديين كان تدوين الحكايات الطارفة والتليدة التي تناقلوها في المحافل والمجالس ،

وشكّلت جزءاً مما عرف باسم السيرة Saga . تفرعت السيرة ، وهي قصة بطابع ملحمي في بنيتها وموضوعها ، إلى فروع منها سير الملوك ، وسير الأساطير ، وسير القديسين ، وسير الفرسان ، وسير الآيسلنديّين ، ونتج من هذه السير حكايات ثانويّة من بينها حكاية ضيف العرّافات .

ثانيا لضيف العرّافات موضوع لافت ، له نظائره في الأدب الآيسلندي والآداب الأخرى ، عن تعمير الإنسان في الحياة وعيشه سنوات مديدة ، وفي هذه الحكاية بقدر ما يشاء إذ حمل عمره معه في صُرّته . يتراءى لنا أنّ أول ما زوّدته به حياته الطويلة ، وما شهده من مشاهد ، وما عاصره من عصور ، وخالطهم من أناس ، ورفقته سيغورد قاتل التنين ، أن جعلته حكّاء بارعا في جعبته ما يشنّف آذان مستمعيه ويلفت أنظار الملوك إليه فيدنونه منهم ويستعلمونه عما بدا لهم أو جهلوه ، فكأن شرط الحكّاء الماهر التعمير في الأرض ، فأنّى لأي امرئ التعمير! ولزاما عليه أن يجد سبلا أخرى تجعل منه حكاء متقنا يبذ أقرانه . ونرى في سيرة أود ذي السهم Arrow-Odd الآيسلندية ، الذي عمّر في الأرض أيضا ، أنّ ما قاساه أود أنه شهد مهلك رفاقه وخلاّنه وبقي وحده ينتقل من بلد إلى آخر ، ومن قوم إلى قوم ، ومن حال إلى أختها ، امتدّ عمره لكن امتدّت وَحدته وتجرّع أحزانا ضعف سني حياته . ما كان غيست –اسم بطل حكايتنا– بدعا من غيره خارج إسكندنافيا بخبر تعميره ، ولي من

نظائره اثنان أوردهما هنا ، الأول عربيّ هو ملك الجرهمي الحارث بن مضاض الملقّب بالجرهمي التائه ، تاه هذا الملك بعد فناء قومه في جزيرة العرب ثلاثمئة سنة حتى التقاه نزار بن إياد وأكراه إبله إلى مكة حيث مات بعد طول ضياع وحزن . شاعت هذه الحكاية الأسطورية عند عرب ما قبل الإسلام ووُصلت بخبر طالوت وجالوت والتابوت ، وأوردها وهب بن منبّه في كتابه "التيجان في ملوك حمير" . أما الآخر فهو ميلياغر Meleager في الأسطورة اليونانية الشهيرة . يتشابه ميلياغر وغيست في أنهما احتُفظ بعمرها ، فالأول أخذت أمه ألتيا حطبة من الموقد ، بعد أن تنبأت ربات المصير الثلاث أن عمره مقترن باكتمال اشتعالها ، فأطفأتها واحتفظت بها ، وارتبط عمر غيست بشمعة تنبأت عرّافة ، من ثلاث عرافات استضافتهنّ دار أبيه ، أنه سيموت باكتمال اشتعال الشمعة فأطفأتها العرافة الكبرى وأعطتها أمه فاحتفظت بها ، وسلمتها إياه في بلوغه . ساق القدر ميلياغر في مملكة كاليدونيا إلى أن يقتل أخواله الذين اعترضوا على تقديمه جلد خنزير كاليدونيا هدية إلى الإلهة أتلانتا ، فغضبت أمه منه وأحرقت الحطبة فمات باكتمال احتراقها ، أما غيست فاحتفظ بالشمعة عنده وما مات حتى شاء أن يموت بنفسه .

ثـالـثـا يكمن العنصر الثالث المهم في هذه الحكاية أنها مرتبطة بأسطورة سيغورد قاتل التنين ، أشهر أساطير الأبطال عند القبائل الإسكندنافية والجرمانيّة ، ولها تداخلاتها في أساطير القديسين الذين يقتلون التنين مثل القديس جرجس . تناقل الجرمانيون والإسكندنافيون قصائد سيغورد وحكاياته ودوّن الآيسلنديّون أخباره في قصائد الأبطال في كتاب إيدا الشعري P o e t i c E d d a ، وفي سيرة آل فولسونـــــغ Volsunga saga ، وما تناثر في كتب أخرى مثل موجز حكايته التي أوردها سنوري ستورلوسن في كتابه إيدا النثري P r o s e Edda ، وفي حكاية ضيف العرّافات . أما الجرمانيّون فقد أعادوا رواية الحكاية -من الراجح أنها مستمدة من أحداث حقيقية ما بين القرنين الخامس والسابع للميلاد- في واحدة من الملاحم الأوروبية الرفيعة ، في نشيد النبيلونغ في القرن الثاني عشر للميلاد ، وهو الزمن نفسه تقريبا الذي دوّن الآيسلنديّون فيه أخبار سيغورد في القصائد والقصص .

رابـــعـــا تنتمي هذه الحكاية إلى مجموع الحكايات المرتبطة بالملك النرويجي أولاف تريغفسن ، سواء ما دُوّن عنه في سيرته King Olaf T r y g y a s o n's S a g a أو تلك التي حضر فيها وانخرط في أحداثها مثل حكاية هيلغي ابن ثورير وحكاية هوغني وهيدن وحكاية ضيف العرافات . خلد ذكر أولاف تريغفسن مع أنه لم يحكم سوى

خمسة أعوام ما بين (995-1000م) لما كان له من دور في تنصير النرويج بالسيف والنار ، ولشدّته على الوثنيين ، والتزامه بتعاليم النصرانية ، وفي عهده تنصّرت آيسلندا بالقوة ، ورسخت أركان النصرانية في النرويج من بعده في كامل إسكندنافيا ، ولولا خلفه أولاف هارالدسن لصار القديس ونال لقب ملك النرويج الأزلي . يذكرنا حضور أولاف تريغفسن في الحكايات الإسكندنافية (الآيسلندية) بحضور هارون الرشيد في الحكايات العربية سواء الخرافية أو التاريخية مثل ألف ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة وسواهما من كتب الأدب والتاريخ ، وكذلك الملك شارلمان الفرنسيّ في القصائد القروسطية الفرنسية مثل نشيد رولان .

خامسا أما العنصر الأخير في أهمية هذه الحكاية فمتعلق بي ومشروعي في التراث الأدبي الإنساني ، إذ بدأت المشروع منذ خمس سنوات تقريبا ما بين قراءة وكتابة وترجمة ، وترجمت نحوا من عشرين نصا ما بين ملاحم وكتب وقصص وقصائد ، نشرتُ بعضها وما زال معظم عملي غير منشور لأسباب متعلقة بسوق النشر العربي . وأسعى في كل سنة لنشر ترجمات من هذا المشروع ليبقى في الواجهة مقدّما الجديد والمختلف للمكتبة العربية ، والله ولي التوفيق .

اعتمدت في نقل هذه الحكاية إلى العربية على الترجمة الإنجليزية التي نشرت بعنوان The Tale of Norna-Gest عن دار Thor's Stone Press في سنة 2014 على يد الأستاذ المترجم Gavin Chappell الذي ترجم سلسلة من السير الأسطورية نافت على خمس وعشرين كتابا . زودت فصول الحكاية بالكثير من الهوامش النافعة والمفسّرة ، ويتم بها فهم وافٍ لكل ما قد يُستبهم على القارئ غير المتضلع من الأدب الآيسلندي والإرث الثقافي الإسكندنافي .

حكاية ضيف العرّافات

1

اتّفق ذات يوم حين كان الملك أولاف تريغفسن1 يقطن في تروندهايم2 أن أقبل عليه رجلٌ ساعة الغروب وحيّاه بتحيّة الملوك . رحّب الملك به وسأله عن اسمه فأجاب أنّه غيست .

قال الملك 'إنّك ضيفي في داري أيًّا كان اسمك3'

قال غيست 'هو ذا اسمي مولاي ، وليسرّني أن تؤمِّن لي سقفا عندك' .

طمأنه الملك بأن هذا ما سيكون . أسدل الليل ظلمته فما زاد الملكُ في محادثة ضيفه ، وأراد إقامة إنشاد العِشاء ثم تناول العَشاء والخلود إلى النوم . حين آوى الملكُ أولاف تريغفسن إلى فراشه ، وبينما يقرأ الملك صلاته ، والجمع نيام في الدار ، إذ حس بدخول عفريت أو شيطان في داره مع أنّ كلّ الأبواب موصدة . اقترب العفريت من فراش كل نائم حتى بلغ فراش الرجل الأخير عند الباب فتوقّف وقال 'عجبا إنّ القفلَ قوي في هذا الموضع مع أنه بيت فارغ ، وليس بالملك الحكيم في هذا الشأن كما قيل فلو أنه كذلك لما نام يعلو شخيره' . ثم اختفى متجاوزا الأبواب الموصدة .

استدعى الملك في الصباح الباكر خادمه وطلب منه أن يعرف من نام في ذاك الفراش البارحة . تبينّ أن الضيف هو من شغل الفراش ، فاستدعاه الملك وسأله عن أبيه . أجاب ' أنا ابن ثورد ، ولُقّب بعضّاض

الاجتماع4 ، من أصل داينيّ5 . عاش حياته في مزرعة في الدنمرك اسمها غروننغ' .

قال الملك 'إنّ لك طلّة حسنة وشخصا كريما' . كان غيست فصيحا مفوّها أضخمَ من سائر الرجال قويا ، وتعلو محياه الكهولة . سألَ الملكَ إن وسعه تأمين سكن له في رفقة حاشيته . فسأله الملك إنْ كان نصرانيّـــــــــا فأجابه أنه تلّقى إشارة الثالوث6 لكنه لم يُعمّد . قال الملك إنه يسعه البقاء مع رجاله 'لكن لن تجالسني إلا قليلا ما دمت غير معمّدٍ7' . قال العفريت قولته عن القفل لأن غيست أشار على جسده بإشارة الثالوث لكنه ما يزال وثنيّا .

سأله الملك 'ألك من شيء تتقنه؟' . أجاب أنه يجيد العزف بالقيثارة ورواية قصص تُبهج الناس .

قال الملك 'أصاب الملك سفين شرا حين ترك من لم يُعمّد يجولون في مملكته والبلاد الأخرى' .

قال غيست 'ليس هذا خطأ الملك الدانيّ فقد غادرت الدنمرك قبل أن يحرق الإمبراطور أوتو الدنمرك ويرغم الملك هارالد ابن غورم والإيرل هاكون ذا الأضاحي على اعتناق النصرانيّة'8 .

استسفر الملك غيست عن أمور عدّة فبيّنها له غيست على غاية من المراد والحكمة . قال الناس إنّ واقعة غيست كانت في السنة الثالثة من حكم

الملك أولاف . في تلك السنة وصل إلى الملك رجلان يُدعيان غريم ، بعث بهما غودموند ملك سهول غلازير . جاءا الملك بقرنين هديةً من غودموند ، واسم القرنين غريم أيضا . ولهما خبر مع الملك سنرويه لاحقا9 . قيل إنّ غيست أقام برفقة الملك أولاف ، وأُجلس في آخر مقاعد الضيوف . أجاد غيست سلوك الكِرام وتصرّفَ على خير ما يكون في كل شأنه ، فأحبّه القومُ وأحسنوا الظن به .

1- كان أولاف تريغفسن ابن حفيد هارالد الأشقر أول ملوك النرويج ، وحكم ما بين (995-1000م) لكن طبّق صيته الآفاق لا سيما أنّه نصّر النرويج بالحديد والنار ، وتنصّرت آيسلندا في عهده رسميا سنة 1000م . وتروى في كتاب سيرة النصرانية في آيسلندا حكاية اعتناقه الدين الجديد ، فبعد أن رأى على ترس رجل يدُعى ثانغبراند صورة الصليب والمسيح فسأله عن الصورة فأخبره ثانغبراند بحكاية المسيح فآمن وعُمّد ، وأدخل شعبه في الدين الجديد . ارتبط اسم أولاف بالكثير من الحكايات الآيسلنديّة الخرافيّة ، ويكاد يوازي هارون الرشيد في الحكايات العربيّة ، وفي ذلك دلالة على اهتمام هذا الملك بغريب الأخبار وعجيب الحكايات .

2- تروندهايم : مدينة تقع في وسط النرويج وكانت مستقرّ الكثير من ملوك النرويج .

3- غيست G e s t معنى الاسم بالنورديّة القديمة -الآيسلنديّة- هو ضيف ، ولذلك استبهم على الملك فَهم ذلك أول الأمر . واعتيد في الحكايات الآيسلنديّة أن الرجل الذي يأتي سكن الملك ويطلب منه مأوى أن يدّعي أن اسمه غيست ، وفي ذلك دلالة على كونه ضيفا اسما وصفة . ومن لفظة Gest جاءت اللفظة Guest الإنجليزية بالمعنى نفسه .

4- عضّاض الاجتماع/ المجلس التشريعي : نظام برلماني بدائي في إسكندنافيا تُسوّى فيه النزاعات وتتخذ القرارات وتعقد التحالفات ويعاقب المجرمون ويحكم في سائر الأمور . وعضّاض الاجتماع لقب يدل على صرامته .

5- دانيّ : الدانيّون الأقوام التي سكنت بلاد الدنمرك ، والدنمرك تعني أرض الدانيّين .

6- إشارة الثالوث (أو علامة الصليب) : أن يشار على رأس الرجل وصدره بثالوث الأب والابن والروح القدس .

7- كان تريغفسن ، ومن بعده أولاف هارالدسن ، معروفا بتمسكه الدينيّ والتزامه ونفوره من الوثنيين وحربه لهم .

8- حكم هارالد ابن غورم (السن الأزرق) الدنمرك بعد أبيه الملك غورم الشيخ ، أول ملوك الدنمرك الثابت وجودهم ، ما بين 958-986م وامتد حكمه ليشمل النرويج ما بين 970-986 ، لكن من حكم النرويج حقا كان الإيرل هاكون ابن سيغورد ما بين سني 975-995 لا سيما بعد اضطراب الأحوال إثر وفاة ملك النرويج هارالد ذي العباءة الرمادية سنة 970 ، حتى جاء أولاف تريغفسن ، الوريث الشرعي للحكم ، وتسلّم زمام السلطة . وتروي سيرة عصبة الفاكينغ Saga of Jomsvikings خبر ملك الدنمرك هارالد والإيرل هاكون .

أما أوتو المذكور فهو أوتو العظيم ملك مملكة الفرنجة الشرقية وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وحكم ما بين سني 936–973 .

كان كل هؤلاء متوفين حين حكم أولاف تريغفسن ، والملك سفين من معاصريه الذي حكم الدنمرك بعد أن انقلب على أبيه هارالد ونفاه في سنة 986 ، ومات في منفاه في السنة نفسها .

9- يشير القاص هنا إلى حكاية هليغي ابن ثورير ، الذي يرى في أحد الأيام امرأة حسناء برفقة سرب من النساء في غابة فيعجب حسنها ويهواها ، فتختطفه ليذهب معها إلى مملكة أبيها غودموند ، واحد من الملوك الخرافيين في الحكايات الآيسلنديّة . يبعث بعدها غودموند بهيلغي ورجل آخر معه إلى الملك تريغفسن بهدية من قرنين راغبا في قتله ، والسبب غالبا لأنه نصرانيّ ، لكنهما لم يوفّقا في ذلك ويهربان . يلقى أولاف بعد مدة هيلغي على باب كنيسة وقد قلعت عيناه ، وحين سأله عن السبب أخبره أن ابنة الملك صار ينتابها القلق عندما تضطجع بجواره فنفرت منه وطلبت إعادته إلى بلاده ، لكنها اقتلعت عينيه حتى لا تستمتع به من بعدها امرأة في النرويج .

قبل أن يأزف موعد اليول1 قفل أولف الأحمر إلى الديار يرافقه رجاله ، وكان في الصائفة في مَهمة أوكلها إليه الملك ، إذ وجب حراسة فيك2 خشية أن يهجم عليها الداينيّون . اعتاد أولف أن يصحب الملك في منتصف الشتاء ، وجلب معه كنوزا كثيرة حصل عليها في الصائفة ، ومن بين ما جاءه به خاتم ذهب أُسمي هنيتود . لحُم الخاتم في سبعة مواضع ، كل موضعٍ بلون ، وبذّ الخاتم بجودته سائر الخواتم . أعطي الخاتم إلى أولف من مالكٍ اسمه لودموند ، كان في حوزة الملك هالف من قبل ، وإليه نسب أبطال هالف ، وتناهى إلى مسامعنا أنهم استولوا عليه من كنز الملك هافدان الينغفيّ3 . سأل لودموند مقابل هديته أن يحمي أولف أرضه بمعونة الملك أولاف ، فوافقه على ما يريد . أقام الملك احتفال يول باذخ في ترونداهايم ، وفي اليوم الثامن من اليول أهدى أولف الأحمر الخاتم هنيتود إلى الملك ، فأخذه منه وشكر له هديته ، وما أبداه دائما من خدمة جليلة وإخلاص في سائر الشؤون . تناولت الأيادي الخاتم في الدار وهم جلوس حول الشراب ، فلمّا تُبنَ حينئذ الأواوين4 في النرويج . سلّم كلّ رجل الخاتم إلى صاحبه ، وعلا وجوههم العجب فما رأوا ذهبا مثيله في خاتم قط . بلغَ الخاتم في آخر المطاف مسطبة الضيوف ، وأعطي غيست الغريب ليراه . نظرَ إليه نظرة ثم أرجعه باليد التي كانت تحمل قرن الشراب . ما أبه به ولم يغدق الثناء على هذا

الكنز ، وما تغيّرت لهجته في حديثه وصحبه . سأل الساقي القومَ في الدار ’أنال الخاتم استحسانكم؟‘ . أجابوه ’أي نعم سوى القادم الجديد غيست ، ونحسب أنّه لم يوله قدره إذ لا يكترث لمثل هذه الأشياء‘ . قصد الساقي الملكَ ونمى إليه كلمات الرجال التي فاهوا بها ، وكيف أعرضَ عن الخاتم ولم يكل له ما يستحق من ثناء . قال الملك ’إنّ علم غيست يزيد على ما تحسبه ، وليأتينّي في الصباح ويروي لي الخبر‘ .

كان الضيوف في آخر الدار يتسامرون ويتجاذبون أطراف الكلام ، وسألوا الضيف حديث العهد إنْ رأى خاتما جيدا كهذا أو خيرا منه . قال ’إنكم لتحسبون من الغرابة أني لم أطرِ الخاتم ، لكن ليكن في علمكم أني رأيتُ ما يساويه حقًا بل يفوقه نفاسة‘ . ضحك رجال الملك ساعتئذ من كلامه وقالوا إن ما تقوله يُبنئ بنكتة كبيرة ، ’بل سنتراهن معك على هذا إنْ أثبتَّ بالدليل أنَّك رأيت شيئًا من ذهبٍ كمثل الخاتم ، نراهنك على أربع عملاتٍ مسكوكاتٍ وستراهننا على سكينتك وحزامك ، وسيكون الملك الحَكَم بيننا‘ .

قال غيست ’لن أكون أضحوكتكم ولن أفشل في نيل رهانكم ، وسيكون الرهان كما فهتم به ، والملكُ حكما بالحق بيننا ‘ . ثم فرغ القوم من الكلام . تناول غيست قيثارته وعزف طوال المساء عزفا أطرب الناس وشنّف آذانهم ، وأجاد عزف أنشودة غونار أيما إجادة . ثم انتقل إلى

عزف أنشودة حيل غدرون القديمة ، وما سمعها القوم من قبل قطّ . أوى الرجال بعد ذلك إلى الفرش وناموا .
صحا الملك في الفجر وحضر قدّاس الصباح ، وحين فرغ من الصلاة خرج لتناول فطوره مع حاشيته . ارتقى الملك عرشه وجاء بين يديه الضيوف يرافقهم غيست وكاشفوه بأمر نقاشهم ورهانهم . قال الملك ’لم يسرّني هذا الخطب ، وإنْ راهنتم على حرّ مالكم . ولا أحسب إلا الخمر قد لعبت في رؤوسكم . يتراءى لي خير لكم لو أعرضتم عنه ، لو وافقني غيست على ذلك‘ .
أجاب غيست ’أريد أن نمضي قدما في رهاننا‘ .
قال الملك ’من الجليّ أن رجالي قد أخذوا على عاتقهم أمر الرهان أكثر منك ، غير أنّ الغبار سينقشع عاجلا عنه‘ . انصرف الرجال وشرعوا في الشراب . وحين رفعت مناضد الشراب طلب الملك غيست وقال ’إنّك ملزم الآن بإخراج ذهبك ، إن كان في حوزتك ، ولأحكم في أمر الرهان‘ .
قال غيست ’ هذا ما سيكون يا مولاي ‘ . تناول صرّته وفتحها ، وأخذ منها كيسا وفضّه ، ثم أخرج منه شيئا وضعه في يد الملك . رأى الملك في يده إبزيم سرج ، وكان من الذهب النضار الجيّد . ثم سأل رجاله أن يأتوه بالختم هنيتود . حين جاءوه بما سأل قابل الملكُ بين القطعتين وقرن إحداهما للأخرى ، ثم رفع رأسه وفاه ’ من الجليّ لكل ذي بصر أن

الذهب الذي أخرجه غيست إلينا أفضل من الخاتم ، وليقرّ بذلك كلُّ من يبصره' . اتّفق غالب القوم والملك . وحكم بالرهان لغيست . حسب الضيوف أنهم سخروا من أنفسهم حين تمادوا في شأن الرهان . قال غيست 'احتفظوا بمالكم ، لكن لا تراهنوا مَن تجهلون مِن الناس ، فلن تعرفوا أبدا متى تلتقون مَن رأى ما لم تروا وسمع ما لم تسمعوا . والشكر كلُّ الشكر لك يا مولاي على نافذ حكمك' .

فاه الملك ' أود أن تُخبرنا من أين حظيت بالذهب الذي تحمله في صرّتك' .

أجاب غيست 'لو أذن مولاي أن يعفيني عن ذلك ، فكثير من الناس سيحسب أنّ ما أقوله غير معقول' .

فاه الملك 'لنسمعه أولا ، ولا تنس أنّك وعدتنا برواية قصّتك' .

قال غيست 'لو رويت لكم قصة الذهب فلا ريب أنكم ستسألوني عن القصة الأخرى' .

فاه الملك 'أحسبُ أنّك محق في قولك' .

1- اليول Y u l e احتفال وثنيّ يجري في الشتاء شاع عند القبائل الجرمانيّة والإسكندنافيّة ، وتداخل بعد تنصير إسكندنافيا وجرمانيا بالكريسماس النصرانيّ . لهذا الاحتفال حضور دائم في حبكة الحكايات الخرافية الآيسلنديّة لأنه يتضمّن أحيانا أن يقسم المحتفلون على فعل أشياء غالبا ما تقود إلى مغامرات أو مصائب .

2- بلدة في مقاطعة فيستلاند في جنوب غرب النرويج .

3- الملك هالف المذكور أحد الملوك الأسطوريين في إسكندنافيا ، وله سيرة آيسلندية هي هالف وأبطاله الاثني عشر ، أما هافدان اليِنغفيّ فهو المعروف باسم هافدان الأسود والد هارالد الأشقر من زوجته راغنهيلد حفيدة سيغورد عين الثعبان ابن راغنار لودبروك الشهير .

4- الإيوان أو القصر هو بناء عظيم حيث يكون عرش الملك وبلاطه .

3

بدأ غيست ' سأروي لكم عن رحلتي جنوبا إلى بلاد الفرنجة[1] ، إذ قصدتها لأستبصر أمر سيغورد ابن سغموند[2] وإنْ كان حقا ما قيل عن وسامته وجسامته . ما جرى عليّ شيء حتى بلغت بلاد الفرنجة والتقيت هيالبريك يتوسط جمعا غفيرا من خدمه وحاشيته . وكان معهم سيغورد ابن سغموند الفولسونغيّ وهيورديس ابنة إيليمي[3] . صُرع سغموند في الميدان على أيدي أبناء هوندنغ ، وتزوّجت هيورديس آلف ابن الملك هيالبريك . ترعرع سيغورد مع كل أبناء سغموند ، وكانوا رجالا ذوي بأس وجسامة ، لا سيما هيلغي وسنفيوتلي ، وقتلوا الملك هوندنغ ، فلقّبوا إثرها بهلاك هوندنغ ، وثالث إخوته اسمه هاموند . بذّ سيغورد إخوته ، وطبّق صيته الآفاق بأنه أعظم الملوك طرًّا وأنبلهم في العصور التليدة . اتّفق في حياته أن جاء ريغن ابن هريدمار إلى بلاط الملك هيالبريك ، وكان أكثر الرجال مكرا ودهاء ، قزما في شخصه ، حكيما عنيفا ومتضلّعا من السحر . تولّى ريغن تأديب سيغورد وأحبّه ، وحدّثه عن أسلافه وما وقع من عجائب الأمور وغرائبها . ما طال بي المقام هنالك حتى صرتُ خادم سيغورد برفقة الآخرين . أحبه الناس حبًّا جمًّا فقد كان دمثا مُخبْتا كريما يسفح علينا العطايا سفحا .

اتّفق ذات يوم أن زرنا ريغن فأحسن استقبال سيغورد ، وأنشد :

ها هنا ، في دارنا ،
ابنُ سغموند جاء يزورنا
رجلٌ حازم له بأس وقوة .
لكني شيخٌ طاعنٌ ،
هزُمتُ على مخالبِ ،
الذئب الشره .

ثم أنشد :
ليس لي بد
من إكرام المحارب الضرغام ،
ابن ينغفار الهمام ،
من جاء يزورنا .
هذا أعظم محارب
شرقت عليه الشمس ،
المبرّز في كلّ البلد ،
ذو المكارم والمجد .

ما انفك سيغورد عن رفقة ريغن ، وحدّثه كثيرا عن فافنر المجرمز على كنز في براح غانيتا في صورة ثعبان له حجم مهول . سبكَ ريغن السيف

غرام لريغن ، له نصلٌ بتّار . حين غرزه في نهر الراين وقذف عليه خصلة صوف شطرها شطرين ، ثم قصم سيغورد بالسيف سندان ريغن . حرّضه ريغن على قتل فافنر ، أخيه4 ، لكن سيغورد أنشد :

ستعلو قهقهات أبناء هوندنغ ،
من حرموا إيليمي أرذلَ العمر ،
إنْ أُغويتُ سعياً إلى خواتم الذهب ،
وأجّلت الثأر لأبي .

جهّز سيغورد نفسه للرحلة وحزم أمره على الانتقام من أبناء هوندنغ . زوّده الملك هيالبريك بالرجال وسفن الحرب ، وانضمّ إليه أخو الملك هاموند ، والقزم ريغن . انخرطت في صفوفهم ولقّبوني بضيف العرّافات5 . عرفتُ الملك هيالبريك حين كان في الدنمرك برفقة سغموند ابن فولسونغ ، ثم تزوّج سغموند بورغهيلد لكنهما افترقا حين قتلت بورغهيلد بالسم ابنه سنفيوتلي6 . ارتحل سغموند جنوبا بعدها إلى بلاد الفرنجة وتزوّج هيورديس ابنة إيليمي ، ثم جندله أبناء هوندنغ ، وأراد سيغورد الثأر لأبيه وجدّه لأمه . لُقّب هيلغي ابن سغموند بهلاك هوندنغ ، وهو أخو سيغورد الذي لقّب بعد أمدٍ بقاتل فافنر . قتل هليغي الملكَ هوندنغ ، وجندل ثلاثة من أبنائه هم إيبولف وهيرفارد وهيورفارد . ونجا بنفسه لينغفي واثنان من إخوته ، آلف وهيمنغ . كان الإخوة رجالا

عظاما وبرزُ آلف على إخوته ، وتضلّعوا من السحر والشعوذة . غزا الإخوة الممالك وقتلوا الفوارس الشجعان وأحرقوا المدن ، وناءت بلاد إسبانيا والفرنجة بثقل غزوهم ونهبهم دون سواهما . لكن لم يبلغ حينئذ سلطانُ ملك شمالَ الجبال . أخضعَ أبناء هوندنغ مملكة سيغورد في بلاد الفرنجة ، وحشّدوا جيشا جرّارا فيها .

هيّأ سيغورد قوّاته لحرب أبناء هوندنغ ، وكان في إمرته جيش عظيم . أعدّ ريغن حيلة المعركة وتنظيم الصفوف . كان له سيف اسمه ريدل صنعه بنفسه ، وسأله سيغورد أن يعيره السيف ، فأعاره إياه وسأله أن يقتلَ فافنر حين يرجع بالنصر من المعركة ، فوعده سيغورد بذلك . أبحرنا بعدئذ جنوبا قريبا من الساحل ، ثم انقضّت علينا عاصفة هوجاء من فعل السحرة ، وأدركنا أنها من صنيع أبناء هوندنغ . استأنفنا الإبحار قليلا حتى أبصرنا رجلا قائما على نتوء صخريّ في جرف البحر . ارتدى عباءة خضراء وسراولا أزرق وحذائين بعنقين طويلين مزرّرين ، ويقبض على رمح بيده . خاطبنا الرجل منشدا :

من يركبُ

الحصان الجامح

فوق الموج الهائج

والبحر المائج؟

أتحيط أشرعتك

بالبحر العظيم؟

أيصبرُ حصان الأمواج

في وجه العاصفة؟

أجابه ريغن :

ها نحن أولاء رفاق سيغورد

جئنا نمخر البحر .

هبّت علينا ريح عاتية

لتسوقنا إلى قبورنا .

أعلى من جؤجؤ السفين

أمواجُ سنكسرها عاجلا

وبخيل البحر نبذّها7 .

فمن هذا السائل؟

قال الرجل ذو العباءة :

حيّاني القوم باسم هنيكار

حين أبهجت هوغين ،

أيها الفولسونغيّ الفتيّ ،

حين غزوت البلاد .



ادعوا الشيخ على الصخرة
باسم فينغ أو فيولنير8 ،
وأقلّوه معكم في السفين .

قصدنا البر وهدأت الريح في لمح البصر . طلب سيغورد من الرجل أن يخوض في الماء إليهم ، ففعل كما طلب . هبّت ريح إثرها وهفّ نسيم عليل . قعد الرجل عند ركبة سيغورد وكان وديعا جدا . استعلم من سيغورد إنْ يقبل منه نصحا ، فأجابه بالقبول وحسبَ أنّه يسعه وهب نصائحه للناس إذا أراد لهم خيرا . خاطب سيغورد ذا العباءة منشدا :
أعلمني يا هنيكار
كلَّ ما تعرفه عن الآلهة والرجال ،
وعن خير الفؤول
ساعة القتال ، حين
تجالد السيوف في الكفوف .

أجاب هنيكار :
فؤول الخير كثيرة
إذا علم الرجال
أيّان مجالدة السيوف .

الرفيق المخلص

هو الغراب الأسود

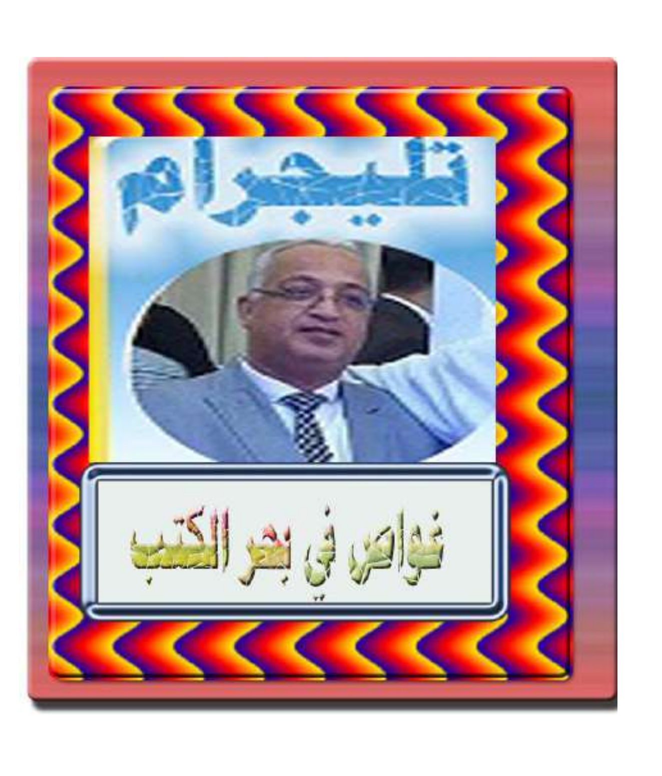
للمحارب في الميدان9 .

دونك فألا ثانيا

إذا خرجت وتجهّزت للرحيل

وأبصرت محاربين جسورين

يقفان في الطريق .



وهاك الثالث

إذا سمعت الذئب يعوي

عند شجر الدردار .

وفألُ خيرٍ

إذا كنتم أَيها الرجال

أول من يبصر

المحاربات بالخوذات10 ،

ولا تحاربوا إذا لمحتم في الأفق

آخر شعاع أخت القمر11 .

سينال النصر

من يبصر لعبة السيوف الخاطفة

والصفوف المنظّمة .

والويل لمن ترتجف
عند اللقاء قدماه ،
في دربك إلى القتال
تقوم عن يمينك وشمالك
المعقّبات البارعات
يرغبن في إبصار الجراح12 .
عند الفطور سيقبل الرجال
ممشِّطين الشعور ونظافا
فلا يدري المرء عاقبة الأمور .
خاب من صُرِعَ قبل نيل المكارم .

أبحرنا بعد ذلك جنوبا قريبا من هولستاين ، ثم شرقا إلى بلاد الفريسيين حتى وصلنا إلى البر . حين طرق خبر حملتنا مسامع أبناء هوندنغ حشّدوا رجالهم واجتمع لهم جيش عظيم . اندلع حين اللقاء قتال شديد ، وتقدّم لينغفي أخويه في الميدان ، وقاتلوا ببأسٍ جميعا . أعمل سيغورد سيفه في وجه من جالده ففرّوا من لقائه ، وليحسبن الناس أنّ ذاك بفضل السيف غرام لكن ليس سيغورد من يحرنجم فيُهزأ به لجبن أو خور . حين التقى سيغورد ولينغفي تبادلا الضربات وتجالدا بعزمٍ شديد ، حتى توقّفت السيوف عن الضراب والتفت الأعين إلى

هذا الجِلاد . استطال القتال بين الرجلين حتى بانت فيهما الجراح ، إذ كانا فارسين همامين يجيدان استعمال السلاح . اندفع حينئذ إخوان لينغفي وجندلا الرجال ، وفرّ منهما آخرون . ثم تصدّى لهما هاموند أخو سيغورد وأنا معه ، ودونك حينذاك جِلادا آخر . انتهى قتال سيغورد ولينغفي بأسر سيغورد لغريمه وألقى عليه القيود . ثم عاد ومدّ لنا يد المعونة فهبّت ريحنا ، وقلبنا لهما ظهر المجنّ . قُتل في تلك المعركة الأخوان ابنا هوندنغ وخلقٌ كثير من رجالهما ، ثم حلَّ الليل . حين انتضى الصبح حسامه كان هنيكار قد اختفى وما أبصرناه بعدها قط ، وظنّ الرجال أنه أودين . تناقش الرجال بعدئذ عن الموتة التي يستحقها لينغفي ، فأشار ريغن بالعُقاب الدموي يُحفر في ظهره . تناول ريغن السيف مني وشقّ ظهر لينغفي ، وفصم أضلاعه عن فَقَار الظهر واستلّ رئتيه . قضى لينغفار نحبه في تلك الحال ببسالة قلّ نظيرها . ثم أنشد ريغن :

ها هي ذي الصفيحة
حفرت العُقاب الدموي
في ظهر قاتل سغموند ،
ثلة هم الشجعان
حين احمرّت الأرض بالدم ،
فأبهج زعيمُ الجموع

الغرابَ هوغين .

ثَمَّ كان نهبٌ كبير ، وضع رجال سيغورد أياديهم على الأسلاب والغنائم وما أخذ الهمام شيئا لنفسه . ناهيك يومئذ من ثيابٍ فاخرة وسلاح . قتل سيغورد بعد ذلك فافنر وريغن أيضا إذ نوى خيانته . أخذ سيغورد كنز فافنر وركب سائحا في البلاد ، ولُقّبَ حينئذ بقاتل فافنر . قصد بعدها براح هيند حيث التقى برنهيلد ، وجرت عليهما أمور مروية في حكاية سيغورد قاتل فافنر .
تزوّج بعد أمد غدرون ابنة غيوكي ، كان حينئذ برفقة أصهاره بني غيوكي . وأنا معه في الشمال بالدنمرك ، وشهدت معه حين بعث الملك سيغورد هرنغ أبناء عمومته ، أبناء غانداف ، إلى ابني غيوكي ، غونار وهوغني ، يخيّرهم ما بين دفع الجزية أو الحرب ، لكنهم آثروا الذود عن حماهم . تحدّى أبناءُ غانداف بني غيوكي للبراز عند تخوم البلاد ثم قفلوا راجعين إلى ديارهم . سأل ابنا غيوكي سيغورد قاتل فافنر أن يرافقهم في الحرب ، فأجاب سؤلهم ، وأنا معه ما خلّيت جواره . أبحرنا شمالا إلى هولستاين ورسونا في يارنامودي ، غير بعيد عن ميدان المعركة المحدّد بأعواد شجر البندق . أبصرنا عند ذاك سفنا مقبلة من الشمال يقودها أبناء غانداف ، واستعدّ الفريقان للصدام . لم يشهدها هرنغ إذ تحتّم عليه حماية بلاده السويد من غزوات قــــــبائل الكور والكفين13 ،

ناهيك كبرُ سنّه . اندلعت معركة حامية الوطيس تجندل فيها خلق كثير من المحاربين . تقدّم أبناء غانداف الصفوف لما أُثر عنهم من بأس وبسطة في الجسم لا مثيل لها . كان في صفوفهم رجل طويل جبار ، قتل الرجال والخيول ، وما جرؤ محارب على منازلته ، أشبه بعملاق منه ببشر . طلب غونار ساعتها من سيغورد أن يتصدّى لهذا الفظ العنيف ، فليس في طاقة رجل الفلاحُ في مواجهته . تجهّز سيغورد للبراز ورافقه ثلة من الرجال على مضض لا رغبة . انطلقنا إلى هذا المحارب العظيم على عجلٍ وسأله سيغورد عن اسمه وبلاده فأجابه أنه ستاركاد ابن ستورفيرك من فينهرنغ في النرويج . قال سيغورد قد بلغتني من أخبارك وعزَّ لك النظير . أمثالكم قساة على من يبغضون . فسأل ستاركاد من الرجل الذي يُشهّر بي في كلامه؟ فأخبره سيغورد عن نفسه . قال ستاركاد أأنت الملقّب بقاتل فافنر؟ أجابه أجل أنا هو . ففرَّ من لقائه لكن سيغورد عدا في أثره ممتشقا غرام وضرب فكّه بمقبض السيف فأطار اثنتين من أسنانه ، فيا لها من ضربة رهيبة . أمرَ سيغورد الكلبَ أن يبعد عن الميدان ، فخرج ستاركاد بعجالة لا يلوي على شيء . أسرعت إلى سنّيه فأخذتهما واحتفظت بهما ، وهما الآن مربوطان بحبل جرس في الدنمرك ويزنان نصف رطل ؛ يستغرب الناس رؤيتهما هناك . انهزم أبناء غانداف بعد فرار ستاركاد وغنمنا منهم غنائم كثيرة ، وقفل الملكُ إلى

بلاده وبقيتُ أنا برهة من الزمان . تناهى إلى مسامعنا بعد زمن أن ستاركاد اقترف جريمة شنعاء إذ قتل الملك علي في حمامه14 .
واتّفق ذات يوم أن قصد سيغورد قاتل التنين الاجتماعَ وخاض في مستنقع ، ووثب الجواد غراني وثبتين شديدتين تمزَّق بسببهما حزام السرج وسقط منه إبزيمان . حين رأيت التماعهما في الطين مددت يدي وتناولتهما ، وأخذتهما إلى سيغورد فوهبهما لي . أحدهما هو الذي أريتكموه يا مولاي . ترجّل سيغورد بعدئذ وطلب مني تنظيف جواده من الطين ، فاستللتُ عند ذاك خصلة من شعر ذيله لما له من طول باهر' . أخرج غيست الخصلة وأراها الملك وكانت بطول سبع أذرع . قال أولاف حين رآها 'إنّ حكاياتك تسليني!' . أثنى القوم على حكاياته وموهبته في الرواية . استزاده الملك مما في جعبته من أخبار وغرائب ، فروى لهم غيست مما عنده حتى آخر العِشاء . ثم خلد القوم إلى النوم .

1- الفرنجة أو الفرانكيون هم قبائل سكنت أجزاء من بلاد الغال ، وصارت بلادهم تعرف اليوم بفرنسا . وفي بعض اللغات ما زال اللفظ فرانك مستخدما للدلالة على فرنسا -France- كما في الهولندية Frankrijk والألمانية Frankreich وكلاهما يعني مملكة أو بلاد الفرانكيين .

2- سيغورد أبرز بطل أسطوري في التاريخ الإسكندنافي والجرماني ، تناقلت قبائل جرمانيا وإسكندنافيا أخباره في قصائد وحكايات حُفظت بعضها على أيدي الآيسلنديين في قصائد الأبطال في كتاب إيدا الشعري Poetic Edda ، وما دوّنه عنه سنوري ستورلوسن في كتابه إيدا النثري Prose Edda ، وكذلك ما كتب عن سلالته وحكايته في سيرة آل فولسونغ Volsunga saga . أما الجرمان فتناقلوا قصائد وأناشيد عنه نتج عنها ملحمة نشيد النبيلونغ Nibelungenlied واسمه في النشيد سيغفريد ، والراجح كما تشير بعض المصادر إلى أن خبره شاع عند الجرمان ثم انتقل إلى إسكندنافيا . وحكاية الضيف الخالد إحدى الحكايات المتفرعة عن قصة سيغورد . يُظهر غيست علما باختلاف الروايتين الجرمانية والآيسلنديّة عن نهاية سيغورد/ سغفريد .

3- هيورديس أم سيغورد ، وانتقلت إلى بلاط هيالبريك حيث تربّى سيغورد بعد مقتل زوجها سغموند برفقة أبيها إيليمي .

4- أصل هذا الخبر يرجع إلى قصة قديمة تشترك فيها الآلهة أودين ولوكي وهونير وآل هريدمار ، يقتل الآلهة بغير قصد قضاعة في النهر ، وتبينّ أنّ القضاعة هو أوتر أخو ريغن وفافنر . طلب هريدمار الدية عن دم ابنه وجيء له بكنز ، فيتآمر الأخوان ويقتلان أباهما لكن فافنر يستولي على الكنز وحده ويحوّل نفسه إلى ثعبان/ تنين ويجرمز على الكنز في براح غانيتا . أراد ريغن الانتقام من أخيه والاستئثار بالكنز وحده بدفع سيغورد إلى فعل ما يعجز عنه ، لكنه نوى خيانة سيغورد فقلته ، بعد أن أعلمته الطيور بذلك حين شرب من دم قلب فافنر ، فاكتسب ملكة فهم لغة الطيور ، في أثناء شيّه بطلب من ريغن .

5- اللقب بالآيسلندية N o r n a - G e s t ضيف العرّافات ولهذا اللقب علاقة باسمه وحياته يكشف عنها في آخر الحكاية .

6- كان مبدأ الأمر حين تنافس سنفيوتلي وأخو بورغهيلد على امرأة ، أراد كلاهما زواجها فتنافسا عليها فقتل سنفيوتلي غريمه . حين رجع إلى دياره وعلمت زوجة أبيه بالأمر ناولته شرابا مسموما فشربه ومات ، فنفى سغموند زوجته وتزوّج هيورديس .

7- حصان البحر/ الموج/ الأمواج وما شابه كنايات عن السفينة .

8- هذا الرجل هو أودين ، وهوغين اسم أحد غرابيه ، والآخر مونين .
وما ذكره من أسماء هي من أسماء أودين الكثيرة جدا .

9- الغراب هو معاون أودين الذي ينقل إليه أخبار الناس والدنيا ويصعد بها إلى فالهالا . والمعنى هنا أن الرفيق الجيد هو من يكون عين المحارب في الحرب .

10- الفالكيريات : محاربات أودين . وهن مختارات القتلى اللائي يصعدن بأبطال المعارك الصرعى إلى فالهالا للعيش مع أودين حتى تأزف معركة راغناروك بين الآلهة ونهاية العالم ، قبل أن يولد مـــــــــن جديد .

11- أخت القمر هي الشمس واسمها سول ، والقمر أخوها اسمه ماني .

12- اخترت المُعقِّبات مقابلا للكلمة Disir وهي أرواح أنثوية تحفظ المقاتل . ومعنى اسمها الأرواح الأنثوية المُتنبّئة ، وقد تُشير إلى الفالكيريات أو الغزَّالات أو الإلهات . تُشير بعض التفسيرات إلى أن المقصود هنا في الراجح الغزَّالات اللائي يقررن مصير الإنسان . والمعقِّبات في القرآن هي الملائكة التي تتعاقب على حراسة العبد المؤمن ليل نهار وتحفظه من السوء والمكاره .

13- سكنت قبائل الكور سواحل بحر البلطيق ، وأراضيهم اليوم بين ليتوانيا ولاتيفيا ، وقبائل الكفين من السكان الأصليين لمناطق شمالي النرويج والسويد وفنلندا وأجزاء من روسيا .

14- الملك علي A l i الملقب بالجسور أحد ملوك السويد شبه الأسطوريين . وعلي أو فالي V a l i اسم أحد الآلهة في الأساطير الإسكندنافية ، ويلده أودين إثر مقتل ابنه بالدر فينتقم من أخيه هوث ، قاتل أخيه ، بعد يوم واحد من مولده .

استدعى الملكُ غيست في الصباح وأعلمه برغبته في استئناف الحديث .

قال الملك 'عجزتُ عن اكتناه سنّك ، وأنّى لك أن تعيش زمنا أبلغكَ شهود كل تلك المشاهد التي رويتها1 . فارو لنا قصة أخرى حتى نزداد علما عن حوادث سالف الزمان' .

أجاب غيست 'أرى أن أعلمكم عما جرى لكنزي قبل أن أشرع في رواية ما ترغبون في سماعه' .

قال الملك 'لا ريب أنك ستزيدنا مما عندك' .

قال غيست 'قصدت الشمالَ بعدها في الدنمرك ، واستقررت في مُلك أبي إذ مات قبل ذلك بأمد قصير . ثم سمعتُ بعدها بمقتل سيغورد وبني غيوكي ، وكانت أنباء مفجعة لا تصطبر عليها النفس' .

سأل الملك 'وكيف مات سيغورد؟' .

أجاب غيست 'يقول معظم الناس إن غوتورم ابن غيوكي قتله في نومه في الفراش بجوار غدرون . غير أن الجرمان يذهبون بالقول إلى إنه قُتل في الغابة . ويرد في نشيد غدرون أنّه قصد الاجتماع برفقة بني غيوكي وقتلوه في الطريق . لكن ما أجمع عليه الناس أنّهم قتلوه في أثناء استلقائه وغدرا ، وخانوه خيانة شنيعة2' .

سأل رجل من حاشية الملك 'وماذا فعلت برنهيلد بعد ذلك3؟' .

أجاب غيست ’ قتلت سبعة من العبيد وخمسا من الإماء ، وطعنت نفسها بالسيف ، وأمرت أن يرفع جثمانها إلى المحرقة ويُحرق مع الموتى . فكان لها ما طلبت وأقيمت محرقتان ، واحدة لسيغورد وأخرى لبرنهيلد ، فأُحرقُ هو أولاً ثم تلته هي . أُركبت على عربة ، فيها نضد لنفيس الثياب بلون الأرجوان ومزخرفٌ بالذهب ، وانتهى مآلها على تلك الحال‘ .

ثم سألوا غيست إنْ أنشدت برنهيلد بعد موتها ، فأكّد لهم ذلك ، فسألوه أن يروي الخبر4 .

أجاب غيست ’حين سيقت برنهيلد بالمحرقة في الدرب إلى هيل ، مرّت بجروف والتقت غولة تعيش فيها . كانت الغولة منتصبة عند مدخل كهف عليها ثوب من الحرير الأسود ، وفي يدها خشبة طويلة ، فبادرتها سأرمي هذه الخشبة لتذكي محرقتك يا برنهيلد ، إنك لقمينة بأن تحرقي حيّة لا بعد موتك على ما اقترفته يداك من جريرة قتل سيغورد قاتل فافنر ، الرجل الصالح ، الذي أحسن إليَّ وأكرمني ، وسأنشد عليك قصيدة كلها ذم لك وانتقام منك ، وليكرهنَّك كل ذي أذن يسمعها . فتهاجت برنهيلد والغولة .

أنشدت الغولة :

لن تمري من

حجريّ أبوابِ بلاطي ،

خيرٌ لك البقاء

تؤدين شغل النساء

على زيارة قصري الشنيع .

علام مجيئك من بلاد الغال

يا متقلبة الرأي

لزيارة داري؟

ما أكثر إطعامَك الذئاب

وسقيَهم دماء مَن ذبحتِ من الرجال .

ردّت برنهيلد :

لا تشهّري بي

يا عروس الحجارة ،

في سالف الأيام

سفحت الغنائم بلا حد

لستِ لي كفؤ في الفضائل ،

ولن تفوقيني حيث طرقت

أخبارنا مسامع الكرام .

أنشدت الغولة :

شؤم على هذا العالم

حينُ مولدكِ يا برنهيلد

ابنة بودلي

سلّمتِ أبناء غيوكي للمذبحة

وهويت بعماد بيتهم الشريف

ردت برنهيلد :

اسمعي مني يا كاذبة

صادق الأخبار

إنْ أردتِ الإنصات ،

كيف نكبَ حياتي

أبناء غيوكي

وسلبوني بهجتي .

خلّصني من أحزاني

ملكٌ كريم

ثماني أخوات كنّا

نعيش في ظلّ ٍشجر البلوط .

بعد اثني عشر شتاء ،

إنْ شئتِ العلم ،
أقسمت للملك الفتيّ
ومعه تعاهدت .
أنا التي ساقت إلى هيل
أخو الغولة هيالمغونار .
أنا من نصرَ أخا أودا الصغير .
فأغضبتُ بفعلتي أودين
فسوَّرني بالأتراس ،
حمرٍ وبيضٍ ،
في سكاتلوند .
ثم جاء من لا يعرف
الخوفَ في البلاد
وأخبرني أن كفاك من النوم .
وأنشبَ نارًا تلظّى
تحوّط وجه قصري
من الجنوب
استعرت النيران
وعلا أجيجها إلى السماء .
أخبرته أن يجول في البلاد

ثم رجع إليّ بمَجثم فافنر .

سافحُ الذهب الذي

امتطى بالعز غراني

يقصد قصر مَن ربّاني .

وحده كان هناك

الفايكنغ الدانيّ

خيرُ كل الرجال .

جمعنا بالبهجة فراشٌ واحد ،

لكن كأخٍ وأخت .

اضطجعنا يدٌ فوق أخرى

ثمانيةً من الليالي .

ثم قذفتني غدرون

ابنة غيوكي-

أني بتُّ في أحضان سيغورد .

أدركتُ ساعتها ،

ما لم أرغب فيه ،

أنهم بالفاحشة رموني .

مأساة أيامنا

نواجهها بالصراع

نحن الرجال والنساء

ما دمنا أحياء .

سنشهد آخرَ الزمان

أنا وسيغورد بلا فراق ،

فغوري الآن أيتها الغولة .

صوّتت بعدئذ الغولة بصوت رهيب وقفلت تجري إلى الصخور' .

أشادت حاشية الملك بما سمعت 'إنّك تسلّينا بما تحكيه ، فزد علينا مما لديك' .

فاه الملك 'ما من حاجة إلى رواية المزيد من هذه الأخبار' . ثم سأل 'هل اتّفقَ أن صاحبت أبناء راغنار في يوم؟' .

أجاب غيست ' ما صحبتهم إلا قليلا . قدمت عليهم حين قاتلوا في الجنوب عند الألب ونهبوا فيفلسبورغ . ثم قُذف الخوف منهم في النفوس لانتصارهم في كل معاركهم ، وعقدوا العزم على قصد روما . اتّفق ذات يوم أن جاء رجل إلى الملك بيورن الصنديد فحيّاه . رحّب به الملك وسأله من أين مقدمه . أجاب أنه جاء من روما جنوبا . فاستعلم منه كم تبعد عنّا . أجاب أستميحك عذرا مولاي أن تنظر إلى هذين الحذائين في قدميّ . ثم نزع من قدم زوجا من حديد ، ثخين الظهر ممزق

البطن وقال إنّ بُعد روما عنا ما ترى أثره في هذا الحذاء ، وما أشدّ السوء الذي أصابه من طول الشُّقة . فقال الملك إنّه لدرب طويل جدا ، وسنعود أدراجنا ولن نقاتل الروم . فعلوا كما أمر غير متجاوزين ما بلغوه من بلاد ، وظن الناس أنّ من المستغرب أن يرجع الجيش على عجلٍ وينقلب الرأي بكلمة رجل واحد ، لا سيما بعد أن عقدوا العزم على الغزو . عاد أبناء راغنار إلى الشمال ، وما نهبوا بعدئذ في الجنوب5' .

قال الملك أولاف ' لا ريب أن رجال روما المقدّسين منعوهم من قصد بلادهم ، بل يقينا أنّ الرب بعث بروحٍ من عنده حتى تغيّرت نيّاتهم وتدابيرهم على تلك حال ، وما ارتكبوا شنيعة اجتياح حرم عيسى المسيح المقدّس في روما' .

ثم استزداد الملك غيست 'أجبني في بلاط أي ملكٍ حسبته الأفضل؟' .

قال غيست 'عشتُ أبهج أيامي برفقة سيغورد وبني غيوكي ، وسمح أبناء راغنار لرجالهم في العيش على هواهم . لكن أسعد أيامي كانت في أوبسالا مع الملك إريك . أما الملك هارالد الأشقر فقد فاق الملوك في سوء معشره لأهل بلاطه . ودخلت بلاط ملك سكسونيا هالودفر ، وهناك تلّقيت إشارة الثالوث ، لولا ذلك لما أذن لي في دخول بلاطه . قد التزموا بالنصرانية في بلادهم خير التزام ، وكان بلاطهم خير مكان زرته' .

قال الملك ’إنَّك تغدق علينا بجواب كل ما نسألك عنه‘ . ثم استعلم منه ما شاء من أمور ، وأجابه غيست عنها كلها . في الختام قال ’سأخبركم الآن لم لُقّبت بضيف العرّافات6‘ . فقال الملك كلّنا آذان صاغية .

تحدّث غيست ’نشأت في كنف أبي في مزرعته المسماة غروننغ ، وقد كان رجلا ذا مال اعتاد إقامة مآدب فاخرة في داره . اتّفق ذات يوم أن تجوّلت في البلاد ثلاث ساحرات عرفن باسم العرّافات وأخبرن الناس عن أقدارهم وقابل أيامهم ، فدعوهنَّ إلى بيوتهم وأعدّوا لهن الولائم ووهبوا لهن الهدايا عند الانصراف . فعلَ أبي كما فعلوا فجئن إليه يصحبهن خلق كثير من الناس ، فأقبلن ليتنبأن لي بطالعي . كنت في المهد وعند رأسي شمعتان مشتعلتان ، فاقتربن مني ونطقن بالطالع . تكلمن بالخير عن قابل أيامي والسعد الذي ينتظرني ، وأني سأفوق بالمجد أسلافي وأبذّ أبناء الحكّام في البلاد ، وأكّدن أنّ كل ما قيل سيتحقق بلا ريب . حسبت صغرى العرّافات أن قدرها ضئيل إذ لم يسألها الناس كما سألوا صاحبتيها اللتين أكبروهما وأثنوا عليهما عظيم الثناء . حضر مع الجمع رَعاع من الناس فدفعها بعضهم عن كرسيها فسقطت على الأرض ، فاغتاظت من فعلتهم وصاحت بغضب أنها لن تفوه بخير بعدُ عن طالعي ومصيري وقالت حكمتُ عليه أنه لن يعيش عمرا أطول من عمر

الشمعة المشتعلة عند رأسه . فأخذت الكبرى الشمعة وأطفأتها ثم ناولتها أمي وأعلمتها ألا تشعلها إلا في آخر يوم من عمري . غادرت بعدئذ العرّافات وجررن وراءهن الصغرى وأبعداها عني ، وأهداهنّ والدي هدايا ثمينة قبيل انصرافهن . كبرت بعدها حتى بلغت مبلغ الرجال ، وأعطتني أمي الشمعة لأحتفظ بها . هي اليوم معي لا تفارقني' .

سأل الملك 'لماذا أقبلت علينا؟' .

أجاب غيست 'لامس سؤالك فؤادي يا مولاي ، لقد جئت إليك راغبا في السعد عندك إذ سمعت عن محامدك الكثير من أفواه الصالحين والحكماء' .

سأل الملك 'أتقبل الساعةَ بالتعميد المقدّس؟' .

أجاب غيست ' سأفعل ما تنصح به يا مولاي ' . فعُمِّد بعدها وضمّه الملك إلى جناحه ، وجعله من حاشيته . كان غيست رجل بلاط عارفا بآداب الملوك ، وطيّب المعشر مع كل الناس .

سأله الملكُ ذات يوم ' كم سنةً تود أن تعمّر في الأرض لو وسعك القرار' .

أجاب غيست 'هنيهة من الزمن لو شاء الرب ذلك' .

استعلم الملك 'ماذا سيكون لو أشعلت الشمعة الآن؟' . أخرج غيست الشمعة من إطار قيثارته ، ثم طلب إليه الملكُ أن يُشعلها ففعل ما طلب . أشعل الشمعة فاشتعلت بلمح البصر ، وسأل الملك ' كم تبلغ من العمر' .

أجاب غيست 'عشت ثلاثمئة سنة يا مولاي' .

فاه الملك 'لقد عمّرت في الأرض كثيرا' .

استلقى غيست وسألهم أن يمسحوه بالزيت ، فمسحه الملكُ بنفسه . حين فرغ الملك كانت في الشمعة بقية لم تشتعل بعد ، وأدرك الرجال أن عمر غيست أزفت نهايته . ما أن اكتمل اشتعال الشمعة حتى قضى غيست نحبه ، وحسب القوم أنّها ميتة كريمة . تفكّر الملك مليا في حياته ، وفاه أحسب أنه صادق فيما حكاه عن حياته .

1- حكم أولاف تريغفسن ما بين (995-1000م) ، وجرت الحكاية في السنة الثالثة من حكمه كما يرد ، ولنتبينّ سن غيست لا بد أن نعلم جدَّ أولاف الأكبر هو هارالد الأشقر عاش ما بين سني 850-932م وهو ابن راغنهيلد حفيدة سيغورد عين الثعبان ابن آسلاوغ ابنة سيغورد قاتل التنين من برنهيلد . لا زمن محدد متفق عليه عاش فيه سيغورد لكن من سن غيست فإنّه من جيل سيغورد ، ومات في بلاط أولاف وعمّر ثلاثمئة سنة في الأرض ، لذا فإن ميلاده في بواكير سنة 700م .

2- الاختلاف بين الروايتين الجرمانية والآيسلنديّة جليّ بينّ وإنْ لم يكن كبيرا إلى حد التعارض ، لا سيما أنّ ما بقي من الرواية الجرمانية نشيد النبيلونغ المعدّل والمحسّن عليه في قصة سيغفريد ، ولم تبق الأناشيد الجرمانية القديمة التي من الراجح أنّه روت أخبار سيغفريد قبل انتقالها إلى الإسكندنافيين ، ويحفظها في بطون الصفحات الآيسلنديون . يكمن الخلاف في نهاية سيغورد/ سيغفريد في اختلاف سياق أحداث الروايتين ، فيقتل في الرواية الآيسلنديّة غوتورم الأخ غير الشقيق لغونار وهوغني سيغورد في أثناء نومه كما أثبتتها قصائد إيدا ، ورواية سنوري ستورلوسن ، وسيرة آل فولسونغ . أما نشيد النبيلونغ ، وهي ملحمة من عالم الشهامة والفرسان ، فيرد أن من قتله كان هاغن (هوغني) بعد تسابق معه إلى النبع وحين نزل سيغفريد ليشرب وقذفه

بالرمح في أثناء انحنائه . تقول كلا الروايتين إن مقتله على أيدي أصهاره كان غدرا في أثناء استلقائه سواء في النوم أو لشرب الماء .
3- برنهيلد زوجة غونار ، وغدرون أخته التي تزوجها سيغورد . تعرّف سيغورد إلى برنهيلد قبل بلوغه مملكة غيوكي ، وتعاهدا معا على الزواج . لا تبينّ النصوص والقصائد هل وقع شيء بينهما أو لا سواءً كان بزواج أو من دونه ، لكن أثمر لقاؤهما عن ابنة اسمها آسلاوغ ، وهي التي تزوجها راغنار لودبروك . بعد أن بلغ سيغورد مملكة غيوكي وتعرف إلى بنيه وسمعت أمهم غريمهيلد سيغورد يكثر من ذكر برنهيلد سقته شراب النسيان وزوّجوه غدرون ، ثم بالسحر أيضا خُدعت برنهيلد وتزوّجت غونار بمعونة سيغورد المسحور . بعد الزواج تبينّ لكليهما حقيقة ما جرى وبقيت برنهيلد تحنّ إلى سيغورد لكنها نقمت عليه أيضا ، وما طاب لها عيش حتى حرضت زوجها وأخاه على قتل سيغورد بعد أن اتهمتها غدرون بالفاحشة ، ثم انتحرت وأحرق جثمانهما معا في المحرقة ، وفي رواية غيست فإن كل واحد منهما يحرق في محرقة على حدة .
4- يرد في كتاب إيدا الشعري قصيدة رحلة برنهيلد إلى هيل Helreith Brynhildar ، وتروي هذه القصيدة القصيرة رحلة برنهيلد بعد موتها على عربة إلى عالم الأموات ، هيل ، وتلتقي عملاقة

فيجري بينهما حوار تتحدث فيه برنهيلد عن بعض ما جرى لها وسيغورد . هذا الخبر غير مروي في سيرة آل فولسونغ ، وأغلب الظن أن وروده في حكاية غيست يعني أنه مقتبس من القصيدة .

5- ترد أخبار راغنار وأبنائه من بعده في سيرة راغنار لودبروك وأبنائه . وترجمتها كاملة مع سيرة آل فولسونغ ونشيد النبيلونغ لكن لم تنشر بعد .

6- اسمه بالآيسلندية N o r n a - G e s t أي ضيف العرّافات على المجاز لأنه هو من زارته العرّافات وليس العكس ، غير أنّ عمره لما ارتبط بنبوءة العرّافات صار كأنه من زارهن فانقلب حاله من المُزار إلى الزائر ومن المضيف إلى الضيف . ترتبط العرّافات في الحكاية بربّات المصير في الأساطير الإسكندنافيّة -يُقابلن إلهات القدر الثلاث في الأساطير اليونانية- وهن أورث ، فيرثاندي ، سكولد : الماضي والحاضر والمستقبل . Urthr (في الإنجليزية القديمة Weird ، Wyrd) تعني أيضا "القَدَر" ، وV e r t h a تعني "أن تكون" ، وسكولد مشتقة من Skulla وتعني "الذي يجب أن يكون ، أو الذي لا بد من حدوثه" . تعرف هذه الإلهات الثلاث باسم N o r n s النورديات . ويقول آدم هنري بيلوز تذهب إحدى النظريات إلى أن كلمة N o r n قد تكون مشتقة من كلمة تعني "أن تغزل" والتي تشير إلى غزلهن خيوط

المصير ، كما في قصيدة هيلغي هلاك هوندنغ H e l g a k v i t h o Hundingsbana : إنهنَّ العظيمات اللائي نسجنَ شبكةَ المصيرِ . وتصبح ترجمة الغزَّالات أدق لكلمة Norns وفقًا لهذه النظرية . غير أنّ Norn تستخدم في حكاية غيست للدلالة على العرّافة لا الإلهة الغزّالة ، وإنْ تشاركن في العمل نفسه . والراجح أن العِرَافَة عند قبائل الشماليين مأخوذة من عمل الغزّالات في الأساطير الإسكندنافيّة ، وأُومِنَ بالعرّافين والعرافات في بعض الأحيان أنهم لسان الآلهة .



qertasaladab. com